Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولم يقبل عليه السلام خدمة من خادم يأنف الأحرار أن يقضوها له شاكرين . فما كان فى رجالات المسلمين كابر ابن كابر إلا كان يتمنى أن يؤدى لنبيه تلك الخدمة التى تطوعت بها نفوس مواليه وأتباعه . وهذا ضرب آخر من ضروب البر بالخدمة والتسوية فيها بين مقام الخادم ومقام المريد . فكان عمل الخادم عنده عمل التلميذ الذى يجلس إلى قدمى أستاذه ، حبا لا خنوعا ، وتوقيرا لا مذلّة ، وأدبا يفرضه على نفسه وليس بضريبة مكتوبة يفرضها عليه العرف والتأديب .

وعلى هذا كان النبى عليه السلام يكره أن تقبّل يداه مخافة أن تجرى العادة بهذا بين الناس فتحمل بينهم على محمل الذلّة والخضوع . قال أبو هريرة رضى الله عنه : « دخلت للسوق مع النبى صلى الله عليه وسلم فاشترى سراويل ، وقال للوزان : زن وأرجح . . فوثب الوزان إلى يد رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبّلها ، فجذب يده وقال : هذا تفعله الأعاجم بملوكها ، ولست بملك ، إنما أنا رجل منكم . ثم أخذ السراويل فذهبت لأحملها فقال : صاحب الشىء أحق بشيئه أن يحمله » .

ولقد يصح أن يقال إن حصة النبى من خدمة نفسه كانت أعظم من حصة خدمه . وإن تعويلهم عليه كان أكبر من تعويله عليهم وإنه جمل الخدمة على سنته ضربا من توزيع الأعمال ، أو ضربا من تعاون أبناء البيت الواحد فيما يستطيعه كل منهم من تدبيره وقضاء شئونه .

« إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد ، وأجلس كما يجلس العبد » .

هذه كلمة السيد بإمامته ، السيد بنسبه ، السيد بسلطانه ، السيد بالتفاف القلوب حوله ، السيد بسيادته على سره وعلانيته ورأيه وهواه . ولو عمت هذه السيادة لبطل الاستعباد وأصبح تفاوت الدرجات كتفاوت الأعمار شيئا لا غضاضة فيه على صغير ولا خنزوانة فيه لكبير . إنما هو تقسيم أعمال ، وتعاون بين إخوان ، وإن لم يكن تعاونا بين أمثال .